(١) **صفات الله تعالى .**

إن أول من يذكر عنه أنه تكلم فى صفات الله تعالى فى الإسلام وابتدع القول بنفيها وتعطيلها هو الجعد بن درهم(١)، ثم أخذعنه ذلك تلميذه الجهم بن صفوان(٢)الترمذى ، وتولى كبر نشر تلك المقالة فكثر أتباعه .

فلما ظهرت المعتزلة أخذت عن جهم قوله فى نفى الصفات(٣).

وقد أجمع المعتزلة على نفى صفات الله تعالى الأزلية ، سواء منها ماكان من صفات الذات(٤)، أو صفات الأفعال(٥).

---

(١) الجعد بن درهم :
هو مؤدب مروان الحمار . من الموالى . يعد فى التابعين . زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى ، وابتدع القول بخلق القرآن ، وكان زنديقاً . قتله خالد القسرى يوم النحر .
انظر : ميزان الاعتدال ٣٩٩/١ ، سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥ ، البداية والنهاية ٣٥٠/٩ ، لسان الميزان ١٠٥/٢ ، الأعلام ١٢٠/٢ .

(٢) الجهم بن صفوان :
هو أبو محرز الراسبى ، مولاهم ، السمرقندى ، الكاتب المتكلم ، الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن ، وإن الله فى الأمكنة كلها ، والإيمان عقد بالقلب ، وإن تلفظ بالكفر . قتل بمرو فى عام ١٢٨هـ بعد أن زرع شراً عظيماً .
انظر : تاريخ الطبرى ٢٢٠/٧ ، الكامل فى التاريخ ٣٤٢/٥-٣٤٤ ، ميزان الاعتدال ٤٢٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٦/٦-٢٧ ، الأعلام ١٤١/٢ .

(٣) انظر : الملل والنحل ص٨٦ مع الهامش ، جهم بن صفوان ومكانته فى الفكر الإسلامى ص٧٢-٧٣ .

(٤) الصفات الذاتية :
هى الصفات الأزلية الثابتة لله تعالى التى لاتنفك عنه كصفة النفس والعلم والحياة والقدرة والسمع . انظر : الكواشف الجلية ص٤٢٩ .

(٥) الصفات الفعلية :
هى الصفات الثابتة لله تعالى التى تتعلق بالمشيئة والقدرة ، وهى قديمة النوع حادثة الآحاد كصفة الاستواء والنزول والضحك والمجىء .
انظر : الكواشف الجلية ص٤٢٩،٤٣٠ .

وزعموا بأنه ليس له سبحانه علم ، ولاقدرة ، ولاحياة ، ولاسمع ، ولابصر ، ولاغير ذلك من الصفات(١).

واتفقوا على أن صفاته سبحانه هى إثبات لذاته(٢). كما اتفق جمهورهم على أن الله تعالى عالم ، قادر ، حى ، بذاته ، لابعلم ، وقدرة ، وحياة ، هى صفات ومعانى قائمة به(٣).

وكانت هذه المقالة فى مبدئها غير ناضجة ، وكان واصل بن عطاء(٤) يشرع فيها على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة(٥).

والذى دفعهم إلى نفى صفات الله تعالى ، الخوض فى ذلك بعقولهم والاعتماد عليها فىمعرفة الله سبحانه وصفاته(٦).

ولذا شرطوا فى إثبات الصفة لله أن تكون معقولة ليصح إثباتها لله تعالى ، لأن إيراد الدلالة على إثبات الشىء فرع على كونه معقولاً فى نفسه(٧).

والاستدلال بالسمع على ذلك غير ممكن(٨).

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص١١٤ ، فى العقيدة الإسلامية ص٢٤٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ص٢٤٤ .

(٣) انظر المرجع نفسه ص٣٩٩ .

(٤) واصل بن عطاء :

هو واصل بن عطاء الغزال ، أبو حذيفة ، مولى بنى ضبة أو بنى مخزوم ، ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة ، رأس المعتزلة ، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين ، تنسب إليه الطائفة الواصلية . له تصانيف . منها : "أصناف المرجئة" ، "المنزلة بين المنزلتين" ، "معانى القرآن" . مات سنة ١٣١هـ .

انظر : وفيات الأعيان ١١،٧/٦ ، ميزان الاعتدال ٣٢٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥-٤٦٥ ، لسان الميزان ٢١٤/٦ ، شذرات الذهب ١٨٢/١ ، الأعلام ١٠٨/٨-١٠٩ .

(٥) انظر : الملل والنحل ٤٦/١ .

(٦) انظر : المحيط بالتكليف ص٣٠-٣١،٣٣ .

(٧) انظر المرجع السابق ص١١٠ .

(٨) انظر : شرح الأصول ص٢٠١ .

وبالتالى لايجوز عندهم الاحتجاج بأحاديث الآحاد فى هذا الباب لأنه لااعتماد عليها ههنا ، وإنما فارس الميدان فى هذا المقام هو العقل فلامنافس له البتة ولامشارك له. ولازم ذلك أن يرد كل حديث مهما كانت صحته قام بمعارضة عقولهم فى إثبات صفة لله تعالى .

ولما كان الاعتماد على العقول فى إثبات صفات الله تعالى عند المعتزلة سولت لهم عقولهم شبهتين بهماعطلوا صفات الخالق وجردوه عنها :

الأولى : إن من أثبت لله صفة قديمة فقد قال بتعدد القدماء ، لأن صفاته لو شاركته فى القدم لشاركته فى الألوهية ، وأدى ذلك إلى تعدد القديم سبحانه(١).

قال عبد الجبار :

"فالقديم تعالى لو استحق هذه الصفات (الحياة ـ العلم ـ القدرة ـ الوجود ـ ...) لمعان قديمة لوجب أن تكون مثلاً لله تعالى"(٢).

وقال :

"فلو كان له علم قديم لوجبت مماثلته له فى كل صفة ، لأن الاشتراك فى صفة من صفات الذات يوجب الشركة فى سائرها ويوجب المماثلة"(٣).

الثانية : إن إثبات تلك الصفات يلزم منه أن يكون الله جسماً محدثاً كما تقتضيه حجة العقل(٤).

وقد علل عبد الجبار ذلك بقوله :

"ومن جملة ماينفى عنه تعالى أن يكون بصفة الجواهروالأجسام ، والأصل فى ذلك أن الكلام فى نفى الجسمية على الحقيقة كالوجه فيه ، أنه إذا كان كذلك لم يكن بد من تحيزه ، فإنه إذا لم يكن كذلك لم ينفصل عن غيره ، وإذا كان متحيزاً وجب أن لاينفصل تحيزه عن كونه كائناً فى جهة ،

---

(١) انظر : الملل والنحل ١/٤٤-٤٦ .
(٢) شرح الأصول ص١٩٧ .
(٣) المحيط بالتكليف ص١٨٠ .
(٤) انظر : فضل الاعتزال ص١٥٣ .

وقد مضى الكلام فى أنه لايكون الكائن كائناً فى جهة إلا لمعنى محدث والقول بأنه جسم يعيده إلى أنه محدث ، ... ومما يدل على هذا أيضا أن الدلالة قد دلت على أن الأجسام متماثلة ، وإذا ثبت تماثلها لم يصح إلا أن يستوى الكل فى استحقاق الصفة الذاتية"(١).

فالصفات التى تطلق ألفاظها على البشر لايجوز أن تطلق على الله سبحانه وتعالى لأنه يستوى عندئذ الكل فى استحقاق هذه الصفات ، ويلزم من ذلك مماثلة الله للبشر وتشبيهه بهم ، وبالتالى يؤدى إلى أن يكون الله جسماً كالأجسام .

قال عبد الجبار :

"لو كان الله عالما بعلم لكان يجب فى علمه أن يكون مثلاً لعلمنا"(٢).

وقال :

"فكل ماكان مما لايجوز إلا على الأجسام ، فيجب نفيه عنه تعالى"(٣).

لأنه لو كان حياً بحياة وقادراً بقدرة لوجب أن يكون سبحانه جسماً محلاً للأعراض(٤).

والموحد لله هو الذى ينفى عنه مشابهة الأجسام .

قال عبد الجبار :

"تمام التوحيد لايكون إلا بأن تنفى عن الله شبه الأجسام"(٥).

وإثبات الصفات لله تشبيه لله بخلقه ، وحال صاحبه أشد من حال من يعبد الأصنام(٦).

وأهل السنة المثبتون لصفات الله تعالى مشبهة ، غير موحدين لله ، ولايعرفون ربهم ، لأنهم وصفوه بالأعضاء والزوال والاستواء ويلزم من

---

(١) المحيط بالتكليف ص١١٨ .
(٢) شرح الأصول ص٢٠١ .
(٣) المحيط بالتكليف ص٢٠٠ .
(٤) انظر : شرح الأصول ص٢٠٠-٢٠١ .
(٥) المحيط بالتكليف ص٣٧ .
(٦) انظر : فضل الاعتزال ص١٥٢ .

ذلك أن يكون جسما(١).

وأما آيات القرآن الكريم التى تثبت صفات الله تعالى فهى آيات متشابهة كما يزعمون ، فيجب أن تأول لموافقة الأدلة القاطعة وهى أدلة العقول ، لأنها موهمة للتشبيه ، ولأنها محتملة الدلالة ، وأما العقل فلااحتمال فى دلالته . وماوقع التشبيه فى الأمة إلا بسبب التعلق بالآيات المتشابهة وترك تأولها على مايوافق دليل العقل والآيات المحكمة(٢).

قال عبد الجبار :

"إذا ورد فى القرآن آيات تقتضى بظاهرها التشبيه ، وجب تأويلها ، لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال"(٣).

ويورد أبو الحسين عددا من آيات الصفات ثم يقول :

"فكل هذه الآيات ومأأشبهها من الآيات ، فإنما يريد عز وجل ذاته ، لأن ثم نفسا ووجها ويدا ، وعينا ويمينا سواء"(٤).

منهج السلف فى صفات الله والرد على المعتزلة :

الكلام عن صفات الله عز وجل له أهمية عظيمة بالنسبة للفرد المسلم وذلك لأن الإيمان بالله الذى هو الركن الأول من أركان الإيمان لايتحقق إلا إذا وصف الله سبحانه بما يستحقه من صفات الكمال اللائقة به ، ونعوت الجلال التى تعرف العبد بربه تعالى . بل لايكون العبد موحدا لله إلا إذا عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأقر بذلك، إذ الإقرار بأسماء الله وصفاته تحقيق لأحد أقسام التوحيد الثلاثة(٥)التى لاينفك بعضها عن بعض .

ولما كانت أسماء الله وصفاته بهذه الأهمية كثر ذكرها فى كتاب الله عز وجل وفى حديث رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر : فضل الاعتزال ص١٩٦-١٩٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص١٤٩ .

(٣) المحيط بالتكليف ص٢٠٠ .
وانظر : شرح الأصول ص٢١٢ ، فضل الاعتزال ص١٤٩،١٥٢ .

(٤) رسائل العدل ص١١٥ .

(٥) وهى توحيد : الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات .

ولوضوح هذا التوحيد لم يقع خلاف بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، ولم يتنازع اثنان منهم فى أمر واحد منه ، بل الجميع كانوا على اتفاق تام بالإقرار به والتسليم بما جاء فى القرآن والحديث منه .

يقول ابن القيم رحمه الله :

"وقد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات مانطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة ، من أولهم إلى آخرهم ، لم يسوموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدوا لشىء منها إبطالاً ، ولاضربوا لها أمثالاً ، ولم يدفعوا فى صدورها وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفهاعن حقائقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم ، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً ، وأجروها على سنن واحد ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين ، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين ، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه"(١).

وقد ظلت القرون الخيرة تنهج نهج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إثبات صفات الله والإقرار بها إلى أن نجم التجهم فى الأمة وابتدع القول بنفى صفات الله ، فاحتضن أهل الاعتزال تلك المقالة وجعلوها عقيدة يدينون الله بها(٢).

وأما أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة فإنهم أثبتوا لله تعالى ماأثبته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من أسمائه الحسنى

---

(١) أعلام الموقعين ٤٩/١ ، وانظر : لوامع الأنوار ٦/١ .

(٢) انظر : الملل والنحل ص٨٦ مع الهامش .

وصفاته العليا من غير تحريف(١)، ولاتعطيل(٢)، ولاتكييف(٣)، ولاتمثيل ، كما نفوا عنه مالايليق به من صفات النقص التى نفاها عن نفسه سبحانه ونفاها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم مستندين فى ذلك إلى قوله سبحانه : {ليس كمثله شىء}(٤)إثبات لصفات الله بلاتمثيل . {وهو السميع البصير} تنزيه لله عن صفات النقص بلاتعطيل(٥).

يقول الإمام أبو عثمان الصابونى رحمه الله :

"أصحاب الحديث ، حفظ الله أحياءهم ، ورحم أمواتهم ، يشهدون لله بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة . ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ماوردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون لله جل جلاله ماأثبته لنفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله

---

(١) التحريف : هو التغيير . القاموس المحيط ص١٠٣٣ .
وفى الاصطلاح هو تغيير ألفاظ أسماء الله وصفاته ومعانيها . وهو قسمان : تحريف لفظ : كتحريف اليهود لقوله تعالى "وقولوا حطة" فقالوا : "حنطة" .
وتحريف معنى : كتفسير المبتدعة لصفة الغضب بإرادة الانتقام .
انظر : الكواشف الجلية ص٨٦ .

(٢) التعطيل : هو التفريغ والإخلاء ، وترك الشىء ضياعا .
القاموس المحيط ص١٣٣٥ .
والمراد به هنا : نفى صفات الله تعالى ، وإنكار قيامها بذاته أو إنكار بعضها دون بعض .
انظر : الكواشف الجلية ص٨٧ .

(٣) التكييف : من الكيف وهو القطع .
انظر : القاموس المحيط ص١١٠١ .
والمراد به هنا القطع بحقيقة صفات الله ، وتعيين كنهها ، وأن لها حقيقة معلومة .
انظر : الكواشف الجلية ص٨٩ .

(٤) سورة الشورى : آية ١١

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٣٧٣ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٤،١٠٨-١٠٩ ، لوامع الأنوار ١/٩٤،٩٧،١١٦،١٢٨،١٢٩ ، إيضاح الدليل ص٣٩ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٢٢ .

صلى الله عليه وسلم ، ولايعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه فى قوله عز من قائل : {ياإبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى}(١)، ولايحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين ، أو القوتين ، تحريف المعتزلة الجهمية ، أهلكهم الله ، ولايكيفونهما بكيف ، أو تشبيههما بأيدى المخلوقين ، تشبيه المشبهة(٢) خذلهم الله ، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ، ومن عليهم بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : {ليس كمثله شىء وهو السميع البصير}(٣)(٤).

وهناك بعض القواعد المهمة التى يتضح من خلالها منهج السلف فى صفات الله عز وجل . من ذلك :

(١) القول فى الصفات كالقول فى الذات :

فإذا كان لله سبحانه ذات حقيقية لاتماثل ذوات المخلوقين ، فذاته متصفة بصفات حقيقية لاتماثل سائر صفات الخلق .

فما يقال عن ذاته سبحانه يقال عن صفاته ، إذ الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات يحتذى حذوه(٥).

---

(١) سورة ص : آية ٧٥

(٢) المشبهة :

هم الذين يشبهون الخالق بالمخلوق ، فيقولون له وجه كوجه المخلوق ويد كيد المخلوق ونحو ذلك . ومنهم من يزعم أن معبودهم جسم ذو أبعاض ، محدودة . انظر : مقالات الإسلاميين ١٠٦/١-١٠٧ ، الملل والنحل ١٠٣/١-١٠٥ ، منهاج السنة النبوية ٥٢٢/٢,٥٢٣ ، الكواشف الجلية ص٨٩ .

(٣) سورة الشورى : آية ١١

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٧٥ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٢٥/٣،١٦٧ ، تلبيس الجهمية ٧٦/١ ، الكواشف الجلية ص٢٣٠،٤٣٠ .

(٢) القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر(١):

فإثبات صفة لله تعالى يلزم منه إثبات بقية الصفات ، ونفى صفة واحدة يلزم منه نفى بقية الصفات ، إذ لافرق بين صفة وصفة . وإن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض لايستقيم له دليل لامن الشرع ولامن العقل(٢).

(٣) الاتفاق فى الأسماء لايقتضى التساوى فى المسميات :

فالله سبحانه سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات مختصة به لايشركه فيها غيره ، كما سمى بعض مخلوقاته بأسماء ووصفهم بصفات تختص بهم ، فلايلزم من اتفاق الأسماء والصفات تماثل مسماها(٣).

فإن الله سبحانه أخبرنا عن الجنة ومافيها من أصناف المطاعم والملابس والمساكن ، وأن فيها لبناً وعسلاً وخمراً ، ولحماً وحريراً وذهباً وفضة ، وفاكهة وقصوراً ، وهى موافقة لأسماء الحقائق الموجودة فى الدنيا وليست مماثلة لها ، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما : "ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء" . فإذا كان بينهما من التباين مالايعلمه إلا الله ، وكلاهما مخلوق ، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم من مباينة المخلوق للمخلوق(٤).

وهذه الروح التى خلقها فينا وصفت بصفات عدة ، فهى تصعد من سماء إلى سماء ، وتقبض من البدن ، وتسل كما تسل الشعرة من العجينة ، وهى موجودة حية ، ومع ذلك لايدرك كنهها أحد . فإذا كانت متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها للمخلوقات ، وهى مخلوقة ، فالخالق عز وجل أولى فى مباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحق من الأسماء والصفات(٥).

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٣/١٧ .
(٢) انظر : الكواشف الجلية ص٢٣٠ .
(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣/١٠ ، الكواشف الجلية ص٤٢٨-٤٢٩ .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٢٨ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٨ .
(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٣١،٣٣ .

(٤) اللـه سبحانه له المثل الأعلى فلايجوز أن يقـاس على غيره بقيـاس تمثيل يستوى فيه الأصل والفرع ، ولابقياس شمول يستوى أفراده فى حكمه ولكـن يستعمل فى حقه قيـاس الأولى ، والمثل الأعلى ، وهـو أن كل ماتصف به المخلوق من كمـال فـالخالق أولى به ، وكـل مـاينزه عنـه المخلوق فالخالق منزه عنه .

فـالله يثبت له من صفات الكمـال مايليق به ، وهـو متصـف بها على وجه لايماثله فيها أحد(١).

وبعـد هذه القواعد المهمـة التى يتضح من خلالها منهـج سلفنا الصالح فى صفات الله عز وجل ، نتتبـع ماأثاره المعتزلة مـن شبـه حول الصفات ، مع بيان ردها وعدم صحتها .

إن السمة البارزة التى يتسم بها أهل الاعتزال والجهميـة وجميع الفرق المنحـرفة عن المنهج السوى فى صفـات الله جل وعلا ، هـذا النفى أى نفى صفاته سبحانه ، الذى جعلوا منه منهجاً لهم يدينون اللـه به ويوحدونه من خلالـه ، وهم أبعد مايكونون عن توحيده سبحانه لأنهـم بهذا النفى المبتدع عطلوا صفات رب العالمين وجردوه منها ، فوقعوا بذلك فى الالحاد الذى حذر الله منه فى قوله : {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون}(٢). فإن من الالحاد أن تعطل أسماء الرب سبحـانه عن معانيها وأن تجحـد حقائقها ، وذلك من أعظـم الالحاد فيهـا عقلاً ولغة وشرعا وفطرة(٣). ولادليل معهم يستندون إليه فى هذا النفى ، بل هو أمر حادث مبتدع فى دين الله(٤).

---

(١) انظـر : بيـان تلبيـس الجهميـة ٣٢٧/١-٣٢٨ ، شـرح الطحـاوية ص١١٩ ، لـوامع الأنوار ٢١٦/١-٢١٧ ، الكواشف الجلية ص١٠٢-١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٠

(٣) انظر : لوامع الأنوار ١٢٨/١ .

(٤) انظر : موافقة صحيح المنقول ١٨٩/١ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"الصواب عند السلف والأئمة وجماهير المسلمين أنه لايجوز النفى إلا بدليل كالإثبات ، فكيف ينفى بلادليل مادل عليه دليل : إما قطعى وإما ظاهرى؟ بل كيف يقال مالم يقم دليل قطعى على ثبوته من الصفات يجب نفيه ، أو يجب القطع بنفيه ، ثم يقال فى القطعى إنه ليس بقطعى . فهذه المقدمات الفاسدة هى وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين"(١).

فنفيهم لصفات الله مخالف لظاهر النصوص التى تدل على إثباتها ، ومخالف لطريقة سلف الأمة ونهجهم(٢).

بل ذلك مخالف لما جاء به رسل الله وأنبياؤه عليهم السلام ، فإنهم جاءوا بإثبات مفصل ، ونفى مجمل ، فأثبتوا الأسماء والصفات لله على طريق التفصيل ونفوا عنه مماثلة المخلوقات على طريق الإجمال ، وأما المعتزلة ومن على نهجهم عكسوا الأمر فجاءوا بنفى مفصل ، وإثبات مجمل ، فيقولون : ليس كذا ، ليس كذا(٣).

وهؤلاء النفاة لصفات الله لم يفهموا منها إلا ماهو لائق بالمخلوق ، ولم تتسع عقولهم للفرق الشاسع بين صفات الخالق وصفات المخلوق ، فشرعوا فى نفيها عن الله ، فجمعوا بين شرين هما التمثيل والتعطيل . فلما وقع فى أذهانهم تمثيل صفات الله بصفات خلقه ، وأن إثباتها يقتضى ذلك، لجأوا إلى نفيها عن الله فوقعوا فى التعطيل(٤). وظنوا أن قوله تعالى : {ليس كمثله شىء}(٥)مستنداً لهم ، وأنه يشفع لهم فيما ذهبوا إليه ، وتناسوا عجز الآية الذى يحوى أبلغ رد عليهم . وذلك قوله تعالى : {وهو السميع البصير} ،

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٧٩/١ .
(٢) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص١٣ .
(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٥٣/٢ ، لوامع الأنوار ١٣٠،١٢٩/١ .
(٤) انظر : طريق الهجرتين ص٢٣٥-٢٣٦ ، لوامع الأنوار ٩٤/١ .
(٥) سورة الشورى : آية ١١

فالله نفى فى الآية مماثلة صفاته لصفات المخلوقات ، ثم أثبت لنفسه مايليق به من الصفات(١). وهـذا هو الواجب فى صفاته : أن يوصـف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تشبيه ولاينفى عنه ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله فإن ذلك تعطيل . فالآية ردت بصدرها على من شبه وردت بعجزها على من عطل(٢). وليس فى قوله تعالى : {ليس كمثله شىء} دلالـة على نفى الصفات ، بل هى دالة على إثباتها ووصف الله بها .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

"قـوله تعـالى : {ليس كمثلـه شـىء} وهذا من أعظـم الأدلـة على كثرة صفـات كماله ونعوت جلاله وأنهـا لكثرتها وعظمتها وسعتهـا لم يكن له مثل فيهـا ، وإلا فلو أريد بها نفـى الصفات لكان العدم المحـض أولى بهـذاالمدح منـه ، مـع أن جميع العقلاء إنما يفهمـون مـن قول القـائل فلان لامثـل لـه وليـس له نظير ولاشبيه ولامثيـل ، أنه قد تميز عن النـاس بأوصـاف ونعوت لايشـاركونه فيها،وكلما كثرت أوصـافه ونعوته فات أمثـاله وبعد عن مشابهة أضـرابه ، فقـوله {ليـس كمثلـه شـىء} مـن أدل شـىء على كثرة نعـوته وصفاته"(٣).

زعمهـم أن الصفات لاتثبـت إلا بالعقل ، وأن العقـل هـو الذى يلجأ اليه فى إثبات كل صفة لله تعالى .

يجاب على ذلك :

إن أسمـاء الله تعالى وصفـاته توقيفية ، والمراد بذلـك أنها تتلقى من طريق كتاب الله وسنة رسولـه صلى الله عليه وسلم لايتجـاوز بهـا ماورد فى الكتاب والسنة .

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٦-٣٥٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص٥٢٠ .

(٣) حادى الأرواح ص٢١٨ .

ولـذا قال السلف رضوان اللـه عليهم : لانصف اللـه إلا بما وصف به نفسـه أو وصفه به رسوله صلى اللـه عليه وسلم ، ولانسميـه إلا بما سمـى به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم(١).

وقـد نزه اللـه نفسه عما يصفـه به العباد ، إلا بما وصفـه به المرسلـون بقـوله سبحانه : {سبحان ربك رب العـزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين}(٢).

فنزه نفسـه سبحـانه فى الآية عمـا يصفـه به الكـافـرون ، ثم سلم على المرسلين ، لسلامـة ماوصفوه به من النقائص والعيوب ، ثم حمـد نفسه على تفرده بالأوصاف التى يستحق عليها كمال الحمد(٣).

وأمـا العقل فلاتثبت به أسمـاء الله وصفاته ، لأن العقـل لايمكنـه أن يدرك مـايستحقه الله سبحانه مـن الأسماء والصفات ، فـوجب الـوقوف على الشرع ، ولأن تسمية الله أو وصفه بما لم يسم أو يصف به نفسه ، أو إنكار ماسمى أو وصف به نفسه جنـاية فى حقـه تعـالى ، فيجـب سلـوك الأدب فى ذلك(٤).

قال الإمام الشافعى رحمه الله :

"لله أسماء وصفات لايسع أحداً ردها ، ومن خالـف بعد ثبوت الحجة عليـه فقـد كفـر ، وأما قبل قيـام الحجـة فـانه يعذر بالجهـل ، لأن علم ذلـك لايدرك بالعقل ولاالروية والفكر"(٥).

والعقل السليم لايدل على نفى صفات الله ، بل هو دال على إثباتها ، وإن كانت لاتثبت به ، لأنه دال على أن الذى يفعل أكمل من الذى لايقدر

---

(١) انظـر : بيـان تلبيـس الجهمية ١٤٨/١ ، شـرح الطحـاوية ص٢١٨ ، لـوامع الأنوار ٣٨/١ الهامش ، ١٣٤/١ ، الكواشف الجلية ص٤٢٧ .

(٢) سورة الصافات : آية: ١٨٠ - ١٨٢

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٧١-٧٢ .

(٤) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص٩ .

(٥) مناقب الشافعى ص٥٨١

على الفعل ، وأن فعله سبحانه الذى يتعلق بنفسه والذى يتعلق بخلقه هو كمال(١).

وبالتالى العاقل إذا تمعن فى أدلة نفاة الصفات وتدبرها تمام التدبر ، وأعطاها حقها من النظر العقلى السليم ، علم بالعقل فساد تلك الأدلة وثبوت نقيضها(٢).

الجواب عن الشبهة الأولى : وهى زعمهم بأن إثبات الصفات يؤدى إلى تعدد القدماء .

هذا الزعم منهم قول مجمل يتضح مع التفصيل والبيان وهو شأن السلف فى الألفاظ المجملة . فإن أراد المعتزلة بذلك تعدد آلهة خالقة للمخلوقات مع الله سبحانه فهذا قول مستحيل.وإن قيل بتعدد معان وصفات لله سبحانه فذلك جائز ، ولايلزم من تعدد الصفات تعدد الذات الموصوفة بهذه الصفات(٣).

قال السفارينى :

"المحظور فى تعدد القدماء المغايرة ونحن نمنع تغاير الذات مع الصفات والصفات بعضها مع بعض فينتفى التعدد والتكثر ، ولئن سلم مازعموا من تعدد القدماء فالممتنع تعدد القدماء إذا كانت ذوات مستقلة لاتعدد ذات وصفات لها"(٤).

وكل من الذات والصفات ملازم للآخر(٥). فالذات الموصوفة لاتنفك عن الصفات أصلاً ، ولايمكن وجود ذات خالية عن الصفات(٦). والذات المجردة عن الصفات كالعلم والقدرة لاحقيقة لها فى الخارج ولاهى الله .

---

(١) انظر : الكواشف الجلية ص٢٢٩ .
(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١٤٨/١ .
(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٤١/١-٥٤٢ .
(٤) لوامع الأنوار ٢١٧/١ .
(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٤١/١ .
(٦) انظر : مجموع الفتاوى ٣٣٦/٣ .

والله هو الذات الموصوفة بالصفات اللازمة لها ، واسم الله يتضمن الذات والصفات ، ولم يطلق السلف على الصفات أنها غير الله ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"(١). وثبت فى الصحيح الحلف بعزة الله(٢)، وعمر الله(٣)، فالحلف بذلك ليس حلفاً بغير الله(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى سننه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى كتاب النذور والأيمان (٢١) ، باب ماجاء فى كراهية الحلف بغير الله (٨) برقم ١٥٣٥ ، وقال : "هذا حديث حسن" . ٩٤/٤ .
وأحمد فى المسند بألفاظ مقاربة من حديث ابن عمر ٤٧/١ ، ٣٤/٢، ٦٩، ٨٦-٨٧، ١٢٥ .
والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى ٢٩٧/٤ .
وأخرجه فى مواضع أخرى بألفاظ مقاربة ١٨/١، ٥٢ .
وعبد الرزاق فى المصنف بلفظ مقارب عن ابن عمر ، باب الأيمان ، ولايحلف إلا بالله برقم ١٥٩٢٦ ، ٤٦٧/٨-٤٦٨ ، وأورده الشيخ ناصر الدين الألبانى فى صحيح الجامع وقال : صحيح . ٢٨٢/٥ . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٩/٥-٧١ ، حديث رقم ٢٠٤٢ .

(٢) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الغسل (٥) ، باب من اغتسل عريانا (٢٠) ، ٧٤/١ كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الفرقان (٢٥) ، باب قوله {الذين يحشرون على وجوههم} الآية (١) ، ١٤/٦ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب الصراط جسر جهنم (٥٢) ، ٢٠٦/٧ ، كتاب الأيمان (٨٣) ، باب الحلف بعزة الله (١٢) ، ٢٢٤/٧-٢٢٥ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وهو العزيز الحكيم} من حلف بعزة الله وصفاته (٧) ، ١٦٦/٨-١٦٧ .
صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب معرفة طريق الرؤية (٨١) ، حديث رقم ١٨٢ ، ١٦٦/١ ، كتاب صفات المنافقين (٥٠) ، باب يحشر الكافر على وجهه (١١) حديث رقم ٢٨٠٦ ، ٢١٦١/٤ .

(٣) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الشهادات (٥٢) ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً (١٥) ، ١٥٦/٣ ، كتاب الأيمان (٨٣) ، باب قول الرجل لعمر الله (١٣) ، ٢٢٥/٧ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٩٨، ٩٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ومن تدبر كلام هؤلاء وجدهم مضطرين إلى إثبات الصفات ، وأنهم لايمكنهم أن يفرقوا بين قولهم وقول المثبتة بفرق محقق ، لأنهم أثبتوا كونه تعالى حيا وكونه عالما وكونه قادرا ولايجعلون هذا هو هذا ولاهذا هو هذا ، ولاهذه الأمور هذه الذات ، فقد أثبتوا معانى زائدة على الذات المجردة ، فقولك(١)"أثبتوا قدماء كثيرة" لفظ مجمل يوهم أنهم أثبتوا آلهة غير الله فى الأزل ، وأثبتوا مع الله غيره ، وهذا بهتان عليهم . وإنما أثبتوا صفات قائمة به ... فهل ينكر هذا إلا مخذول مسفسط ، واسم "الله" يتناول الذات المتصفة بالصفات ، ليس هو اسما للذات المجردة"(٢).

الجواب عن الشبهة الثانية : وهى زعمهم أن إثبات الصفات يلزم منه أن يكون الله سبحانه جسما كالأجسام .

وهذه شبهة طالما دندن بها المبتدعة من أهل الاعتزال وغيرهم لتنفير الناس عن وصف الله بما يليق به من صفات . وقد اعتاد هؤلاء أن يبتدعوا ألفاظا ومعانى ويجعلوها أصلا معقولا محكما عندهم ، يجب اعتقاده والبناء عليه ، ثم نظروا فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فحملوا مافيهما على ماأصلوه ، فتأولوا مارأوا تأويله ، وحكموا بالتشابه على ماعجزوا عن تأويله(٣).

ومن تلك الألفاظ لفظ الجسم . وأول من تكلم به نفيا وإثباتا هم طوائف من الشيعة والمعتزلة(٤).

ورموا كل من أثبت صفة لله عز وجل بأنه مجسم وذلك عن طريق اللزوم ، لأنهم يزعمون أن الصفات لاتقوم إلا بجسم ، وذلك جريا على اصطلاحهم فى معنى الجسم وهو كل مايشار إليه ، خلافا للمعهود فى اللغة ،

---

(١) المخاطب بذلك ابن مطهر صاحب كتاب "منهاج الكرامة" الذى رد عليه شيخ الإسلام فى كتاب منهاج السنة .

(٢) المرجع السابق ص٩٧ .

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٥٢٣/١ .

(٤) انظر المرجع السابق ٥٤/١ .

فإن الجسم فى اللغة هو البدن ، ويلزم من قولهم ذلك أن كل ماجاء به الكتاب والسنة وفطر الله عليه عباده وأقره سلف الأمة وأئمتها من صفات الله تجسيماً(١).

ولفظ الجسم لفظ مجمل لايتضح معناه إلا عند التفصيل ، فقد يراد به المركب الذى كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت ، أو مايقبل التفريق والانفصال أو المركب من مادة وصورة ، أو المركب من الأجزاء المفردة التى تسمى الجواهر المفردة ، والله منزه عن ذلك . وكذلك يطلق على ماكان متفرقا فاجتمع ، أو مايقبل التفريق والتجزئة ، أو غير ذلك من التركيب الممتنع عنه .

وقد يراد بالجسم مايشار إليه أو مايرى أو ماتقوم به الصفات ، والله سبحانه يرى فى الآخرة وتقوم به الصفات ويشار إليه عند الدعاء بالأيدى والأوجه والقلوب والأعين ، وهذا معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول ، ولايستطيع من نفاه أن يقيم على نفيه دليلاً ، وأما لفظ الجسم فبدعة فى نفيه وإثباته لله تعالى . فليس فى كتاب الله سبحانه ولافى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولاجاء عن أحد من سلف الأمة وأئمتها اطلاق لفظ الجسم فى صفات الله تعالى لانفياً ولاإثباتاً(٢).

ولذا لما ناظر أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث(٣) الإمام أحمد وألزمه التجسيم ، أجابه الإمام أحمد بأن هذا اللفظ لايدرى مقصود المتكلم به ، وليس له أصل فى الكتاب والسنة والإجماع ، فلايجوز لأحد أن يلزم

---

(١) انظر المرجع السابق ٦٢٥/١-٦٢٦ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٦ ، بيان تلبيس الجهمية ٥٥٠/١ .

(٣) محمد بن عيسى :
هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الجهمى ، برغوث ، رأس البدعة ، وأحد من كان يناظر الإمام أحمد وقت المحنة . من تصانيفه : "كتاب الاستطاعة" ، "كتاب المقالات" ، "كتاب الاجتهاد" . مات سنة ٢٤٠هـ وقيل ٢٤١هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء ٥٥٤/١٠ .

نفيه ، لتعبير المعبر عنه بأى عبارة عبر بها ، وكذلك إذا كان معلوماً انتفاؤه بالعقل لم يجز إثباته ، بأى عبارة عبر بها المعبر ، وبين له العقل ثبوت المعنى الذى نفاه ، وسماه بألفاظه الاصطلاحية ..."(١).

ونفى الجسم عن الله مع أن السلف لايقولون بإثباته ليس فيه دليل على مذهب نفاة الصفات ، بل وليس فيه دليل على تنزيه الله سبحانه عن شىء من النقائص ، لأن من نفى الصفات على أن إثباتها يستلزم التجسيم ، لابد أن يثبت شيئاً يلزمه فيه ماألزمه غيره فيما نفاه . وبالتالى المعتزلة الذين يثبتون الأسماء لله وينفون عنه الصفات ، ويقولون ليس بجسم مع أن ذلك ليس معقولاً عندهم ، جاز لمن يثبت الصفات أن يلزمهم بأن الموصوف بها ليس بجسم ، لأنه لافرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات ، فما يقال فى مسمى الأسماء يقال فى موصوف الصفات(٢).

وأما القول بأن إثبات الصفات يلزم منه إثبات الجسمية ، ويلزم من ذلك أن يكون الله فى جهة وأن يكون متحيزاً .

الكلام فى الجهة والتحيز سبق بيانه قريبا فى الكلام عن الألفاظ المجملة(٣)، وهى التى لم يأت فى الشرع لها نفى أو إثبات . ومثل الجهة والتحيز لفظ الجسم والجوهر والعرض والمركب والمنقسم وغير ذلك من الألفاظ المبتدعة . والبدعة فى نفيها كالبدعة فى إثباتها إن لم تكن أعظم ، لأن المثبت أثبت ماأثبته النصوص ، والنافى عارض بها النصوص ، ورد على من خالف موجبها(٤).

وقد ذم السلف هذه الألفاظ لما بها من الاشتباه ولبس الحق ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله : "يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويلبسون على

---

(١) موافقة صحيح المنقول ١/١٨٣ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٢٠ ، موافقة صحيح المنقول ١/١٠٩-١١٠ .

(٣) انظر ص : ١٥٠

(٤) انظر موافقة صحيح المنقول ١/١٨٨ .

جهال الناس بما يشبهون عليهم"(١). كما أنها عرضة للاحتمالات ، فهى تحوى معانى باطلة لاتليق بالله تعالى كما أنها تحوى معانى حقة ، وهذا بخلاف الألفاظ الشرعية فإن معانيها صحيحة سالمة من الاحتمالات ، ولذا لايجوزالعدول عنها . حتى لايثبت معنى فاسد فى حالة التعلق بالألفاظ المجملة(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا قاعدة عظيمة فى هذه الألفاظ . فيقول :

"والأصل فى هذا الباب أن الألفاظ نوعان :

مذكور فى كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام أهل الإجماع ، فهذا يجب اعتبار معناه ، وتعليق الحكم به ، فإن كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح، وإن كان ذما استحق الذم ، وإن أثبت شيئا وجب إثباته ، وإن نفى شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق ، وكلام رسوله حق ، وكلام أهل الإجماع حق ... ومن دخل فى اسم مذموم فى الشرع كان مذموما ، كاسم الكافر والمنافق والملحد ونحو ذلك ، ومن دخل فى اسم محمود فى الشرع كان محمودا ، كاسم المؤمن والتقى والصديق ، ونحو ذلك ، وأما الألفاظ التى ليس لها أصل فى الشرع فتلك لايجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفى على معناها ، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع والألفاظ التى تعارض بهاالنصوص هى من هذا الضرب ، كلفظ "الجسم" و"الحيز" و"الجهة" و"الجوهر" و"العرض" فمن كانت معارضته بمثل هذه الألفاظ لم يجز له أن يكفر مخالفه ، إن لم يكن قوله مما يبين الشرع أنه كفر ، لأن الكفر حكم شرعى متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ماكان خطأ فى العقل يكون كفرا فى الشرع ، كما أنه

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ص١٠٠ .
وكلام الإمام أحمد فى كتابه : الرد على الجهمية والزنادقة ص٨٥ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢١ .

ليس كل ماكان صواباً فى العقل تجب فى الشرع معرفته"(١).

وقد كان السلف يطلبون الاستفصال فى معناها ، لأن عدم الاستفصال يوقع فى الجهل والضلال والقيل والقال(٢).

فإن كان المعنى صحيحاً قبل ، لكن ينبغى التعبير عنه بألفاظ النصوص ، إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد(٣).

ونضرب مثالاً لاستفصال السلف فى الألفاظ المجملة بلفظ "الجهة" ليتضح منه منهجهم فى الاستفصال .

فإنهم يقولون "إن لفظ "الجهة" قد يراد به أمر موجود وقد يراد به أمر معدوم ، فإذا أريد الأول أمكن أن يقال إن كل جسم فى جهة ، وإذا أريد الثانى امتنع أن يكون كل جسم فى جهة .

فمن قال : البارى فى جهة وأراد بها أمراً موجوداً فكل ماسواه مخلوق له فى جهة بهذا التفسير ، فهذا مخطىء ، وإن أراد بالجهة أمراً عدمياً ـ وهو فوق العالم ـ وقال إن الله فوق العالم فقد أصاب ، وليس فوق العالم موجود غيره ، فلايكون سبحانه فى شىء من الموجودات(٤).

وأما الزعم بأن الأجسام متماثلة ، وتماثلها يؤدى إلى استوائها فى استحقاق الصفات .

فهو زعم لاأساس له من الصحة ، ولاحجة فيه ، وليس أحد من العقلاء يقول بأن كل جسم يماثل الآخر ، وليس فى اللغة التى جاء بها القرآن اطلاق "لفظ المثل" على كل جسم ، ولايقال : إن السماء مثل الأرض . والشمس والقمر والكواكب مثل الجبال . والجبال مثل الأنهار(٥).

---

(١) موافقة صحيح المنقول ١/١٨٤-١٨٥ .
(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٨ .
(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٨ .
(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١١٧ .
(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٥٨٨ .

بل قد تتساوى كثير من الأشياء فى الأسماء وتتباين فى مسمياتها وصفاتها .

وأما زعمهم أن إثبات الصفات تشبيه لله بخلقه :

فهو زعم أكثر من ذكره أهل الاعتزال وقذفوا كل من أثبت صفة لله بأنه مشبه لله بخلقه ، كما رموه من قبل بالتجسيم ، وذلك لضيق عقولهم وعجزها عن إدراك معانى صفات الله تعالى ، وإدراك الفرق الشاسع بينها وبين صفات المخلوقين ، وتقاصرت بهم عقولهم التى اغتروا بها فلم تعلو بهم إلى الفهم الصحيح الذى وصلت إليه عقول السلف الصالح من قبل ، لما استنارت بنور الوحى ، واستضاءت بضوئه . ولم تعرف فلسفة اليونان ، وحثالة أذهانهم إلى تلك العقول طريقاً ، وأما التى لبس عليها الشيطان ، ومزج ماعندها بشبه أعداء الإسلام ، أنى لها أن تعرف الحق ويستبين لها الطريق؟.

والمراد بالتشبيه إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات ، وهو صنو التمثيل الذى يراد به إثبات مماثل لله فيما يختص به أيضا من حقوق وصفات ، وكلاهما كفر وشرك بالله لما تضمنا من نقص فى حق الله تعالى (١).

والتمثيل قد جاء نفيه عن الله تعالى فى أكثر من موضع كقوله تعالى : {ليس كمثله شىء}(٢)، وقوله : {هل تعلم له سمياً}(٣)، وقوله : {ولم يكن له كفواً أحد}(٤)، وقوله : {فلاتجعلوا لله أنداداً}(٥)، وقوله : {فلاتضربوا لله الأمثال}(٦)(٧).

---

(١) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص١٩ .
(٢) سورة الشورى : آية ١١
(٣) سورة مريم : آية ٦٥
(٤) سورة الإخلاص : آية ٤
(٥) سورة البقرة : آية ٢٢
(٦) سورة النحل : آية ٧٤
(٧) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٨٧/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١١٠ .

وأما لفظ التشبيه فلم يرد نفيه أو إثباته فى الكتاب أو السنة لأنه من الألفاظ المجملة التى تحتاج إلى ايضاح وتفصيل ، فقد يراد به ماجاء نفيه فى القرآن ودل عليه العقل من أن خصائص الرب تعالى لايوصف بها شىء من المخلوقات ولايماثله شىء من المخلوقات فى شىء من صفاته .

وقد يراد به عدم إثبات شىء من الصفات اللائقة بالله تعالى لأن العبد موصوف بها(١).

وهذا الأخير هو الذى يعنيه أهل الاعتزال عند إطلاقهم لفظ التشبيه .

ولكن قد ورد ذم التشبيه والمشبهة فى كلام السلف رضوان الله عليهم قال نعيم بن حماد(٢):

"من شبه الله بشىء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، فليس ماوصف الله به نفسه ورسوله تشبيه" .

وقال إسحاق بن راهويه(٣):

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٩٨-٩٩ .

(٢) نعيم بن حماد :
هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعى ، أبو عبد الله المروزى ، نزيل مصر ، حافظ ، فقيه ، عارف بالفرائض . صدوق يخطىء كثيراً . روى عن أبى حمزة السكرى ، وإبراهيم بن سعيد . وعنه البخارى مقروناً ، والدارمى ، وحمزة الكاتب . مات سنة ٢٢٨هـ على الصحيح .
انظر : الجرح والتعديل ٤٦٣/٨-٤٦٤ ، الكاشف ٢٠٧/٣ ، تقريب التهذيب ٣٠٥/٢ .

(٣) إسحاق بن راهويه :
هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلى ، أبو محمد بن راهويه ، المروزى ، الإمام عالم خرسان ، ثقة حافظ مجتهد ، قرين الإمام أحمد ، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير . روى عن جرير ، والدراوردى ، ومعتمر ، وعنه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود وغيرهم . له مسند . مات سنة ٢٣٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢٠٩/٢-٢١٠ ، الكاشف ١٠٦/١ ، تقريب التهذيب ٥٤/١ .

"من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم لأنه وصف بصفاته ، إنما هو استسلام لأمر الله ولما سن الرسول"(١).

وقال أبو حنيفة رحمه الله : "لايشبه شيئا من خلقه ولايشبهه شيء من خلقه... وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لاكعلمنا ، ويقدر لاكقدرتنا ، ويرى لاكرؤيتنا"(٢).

وهم لايريدون بنفى التشبيه نفى الصفات ، ولايصفون به من أثبت الصفات ، وإنما يريدون بذلك أن الله لايشبه المخلوق فى أسمائه وصفاته وأفعاله كما قال أبو حنيفة رحمه الله(٣). والمشبهة الذين ذموهم هم الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، وذكروا أن المشبه هو الذى يقول : بصر كبصرى ، ويد كيدى ، وقدم كقدمى(٤). وهذا أحد نوعى التشبيه ، لأن التشبيه فى الحقيقة نوعان :

أحدهما : تشبيه الخالق بالمخلوق، وهو الذى يتعب أهل الكلام فى رده وبيان بطلانه ، وأهله فى الناس أقل من أهل النوع الثانى .

ثانيهما : تشبيه المخلوق بالخالق ، كعباد المشايخ ، وعزير ، والشمس والقمر ، والأصنام ، والملائكة ، والنار ، والماء ، والعجل ، والطيور ، والجن ، وغير ذلك . وهؤلاء هم الذين أرسل الله لهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له(٥).

والتشبيه إنما قام فى مصادمة نفى الصفات وتعطيلها . وهما مرضان من أمراض القلوب ، فإن أمراض القلوب نوعان :

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٢/٢ .
وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١١٧-١١٨ .

(٢) شرح الفقه الأكبر لأبى منصور الحنفى ص١٠٣-١١٢ ، شرح ملا على القارى على الفقه الأكبر ص١٥-٣٢ .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص١١٨-١١٩ .

(٤) انظر بيان تلبيس الجهمية ٥١/١، ١٠٩ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٧ .

مرض شهوة كالذى فى قوله تعالى : {فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض}(١).

ومرض شبهة كالذى فى قوله سبحانه : {وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم}(٢). وهذا أردأ من مرض الشهوة ، والنفى والتشبيه من شبه الصفات ، وشبه النفى أردأ من شبه التشبيه ، لأن النفى رد وتكذيب لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما التشبيه غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلاهما كفر بالله تعالى(٣).

وأهل السنة متفقون على إثبات صفات الله من غير تشبيه أو تمثيل لها بصفات خلقه ، كما أنهم متفقون على تنزيه الله عن صفات النقص من غير تعطيل ، لأن دين الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل ، وذلك لقوله تعالى : {ليس كمثله شىء} رداً على من مثل ، {وهو السميع البصير} رداً على من عطل(٤). وقد قال الإمام الطحاوى رحمه الله : "ومن لم يتوق النفى والتشبيه ، زل ولم يصب التنزيه"(٥).

وقال ابن أبى العز رحمه الله :

"وماأحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولاتعطيل باللبن الخالص السائغ للشاربين ، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه . والمعطل يعبد عدماً والمشبه يعبد صنماً ... وليس ماوصف الله به نفسه ولاماوصفه به رسوله تشبيهاً ، بل صفات الخالق كما يليق به ، وصفات المخلوق كما يليق به"(٦).

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٢

(٢) سورة التوبة : آية ١٢٥

(٣) انظر المرجع السابق ص٢١٦-٢١٧ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٠٨-١٠٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٥٢٠

(٥) متن العقيدة الطحاوية ص١٠ .

(٦) شرح الطحاوية ص١٨٨ .

فالله منزه عن مشاركة العبد فى خصائصه ، وإذا اشتركا فى الأسماء والصفات فهذا المشترك مطلق كلى فى الذهن لاوجود له فى الخارج ، والموجود فى الأعيان مختص لاشتراك فيه ، فإذا سمى الله بهذه الأسماء كان مسماها معيناً مختصاً به ، وإذا سمى العبد بها كان مسماها مختصاً به (١).

فالاتفاق فى الأسماء لايقتضى التساوى فى المسميات كما سبق ذكره فى قواعد السلف (٢).

ومن هنا يتبين لك ضلال كل من المشبهة والمعطلة ، فإن المشبهة أحسنوا فى إثبات صفات الله ولكنهم أساءوا بزيادة التشبيه ، فضلوا ، وإن المعطلة أحسنوا فى تنزيه الله عن التشبيه بخلقه ، ولكن أساءوا فى نفى المعانى الثابتة لله فضلوا . والحق مادل عليه كتاب الله الذى تعقله العقول السليمة الصحيحة ، وهو الحق المعتدل الذى لاانحراف ولااعوجاج فيه (٣).

وقد وقع المعتزلة فى أربعة أنواع من المحاذير :

(١) كونهم مثلوا مافهموه من النصوص بصفات المخلوقين ، وظنوا أن مدلول النصوص هو التمثيل .

(٢) جنوا على النصوص بتعطيل معانيها الإلهية اللائقة بالله ، وظنوا ظناً سيئاً بالله ورسوله حيث اعتقدوا أن الذى يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل .

(٣) أنهم نفوا تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم ، فكانوا بذلك معطلين لما يستحقه الرب من صفات .

(٤) وصفوا الرب سبحانه بنقيض تلك الصفات ، من صفات الأموات والجمادات والمعدومات ، فعطلوا بذلك صفات كماله ، وجمعوا بين التمثيل والتعطيل ، فأصبحوا ملحدين فى أسمائه وآياته (٤).

---

(١) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٠٢،١٠٣

(٢) انظر ص: ١٤١

(٣) انظر المرجع السابق ص١٠٣ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٤٨-٤٩ .

وأما زعمهم بأن إثبات الصفات تشبيه وذلك مناف للتوحيد ، لأن تمام التوحيد يكون بنفى مشابهة الله للخلق .

وهذا من تسمية الأمور بغير مسمياتها ، ومن تلبيس الباطل بالحق . فانهم فسروا التوحيد تفسيراً لم يدل عليه كتاب الله ولاسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولاقاله أحد من سلف الأمة وأئمتها(١). بل هو أمر مبتدع باطل فى الشرع والعقل واللغة(٢).

فإن التوحيد الذى جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب يتناول التوحيد فى العلم والقول وهو وصف الله مايستحق من صفات الكمال ونعوت الجلال ، ونفى النقص عنه ، والتوحيد فى الإرادة والعمل ، وهو أن يعبد وحده ولايشرك به شيئاً فىعبادته ، كما دل على ذلك سورتا الإخلاص والكافرون ، فالأولى فى التوحيد العلمى ، والثانية فى التوحيد العملى(٣).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :

"وأما تفسير التوحيد بما يستلزم نفى الصفات أو نفى علوه على العرش ، بل يستلزم نفى ماهو أعم من ذلك فهو شىء ابتدعته الجهمية لم ينطق به كتاب ولاسنة ولاإمام ، وكذلك جعل التشبيه ضد التوحيد ، وتفسير التشبيه بما فيه إثبات الصفات ، هو أيضاً باطل ، فإن التوحيد نقيضه الإشراك بالله تعالى ، والتمثيل له بخلقه وإن كان ينافى التوحيد فليس المراد بذلك مايسمونه هم تشبيهاً"(٤).

ومن هنا يتبين أن قولهم "إن تمام التوحيد يكون بنفى مشابهة الله للخلق" الذى يقصدون به نفى الصفات وتعطيلها ، إنما هو نقض للتوحيد ، ونفى له . بل من تمام التوحيد أن يوصف الله بما وصف به نفسه من صفات

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١٣٢/١ .
(٢) انظر : المرجع السابق ٤٧٨/١ .
(٣) انظر : موافقة صحيح المنقول ٢١١/١ ، بيان تلبيس الجهمية ٤٧٩/١ .
(٤) بيان تلبيس الجهمية ١٣٣/١ .

الكمال وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم دون تحريف أو تعطيل ولاتكييف ولاتمثيل(١).

وأما زعمهم أن أهل السنةمشبهة لإثباتهم الصفات وأنهم لايعرفون التوحيد ولايعرفون ربهم .

يجاب على ذلك بأن المعتزلة إنما أطلقوا ذلك على أهل السنة نسبة لاعتقادهم الفاسد فى ربهم سبحانه الذى جردوه من صفاته وعطلوه منها(٢). وذلك لضلال عقولهم التى حجبها الباطل عن رؤية الحق ، فاختلت عندها الموازين ، وغشيها ظلام دامس ، فرأت الحق باطلاً والباطل حقاً.

ورميهم أهل السنة بأنهم مشبهة ، من أبرز الأدلة وأقوى الحجج على نفيهم لصفات الله تعالى ، لأنه مامن أحد ينفى شيئاً من صفات الله إلا ويسمى المثبت لها مشبهاً(٣).

قال أبو زرعة الرازى(٤)رحمه الله :

"المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله عز وجل التى وصف بها نفسه فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويكذبون بالأخبار الصحاح التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصفات ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة مااعتقدوا من الضلالة وينسبون رواتها إلى التشبيه ، فمن نسب الواصفين ربهم تبارك وتعالى بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولاتشبيه

---

(١) انظر موافقة صحيح المنقول ٢١١/١ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار ٢١٦/١ .

(٣) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٠٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١١٨ .

(٤) أبو زرعة الرازى :

هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، أبو زرعة الرازى ، أحد الأعلام . إمام حافظ ، ثقة مشهور . قال ابن راهويه : "كل حديث لايعرفه أبو زرعة فليس له أصل" . مات سنة ٢٦٤هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣٢٤/٥-٣٢٦ ، تاريخ بغداد ٣٢٦/١٠-٣٣٧ ، الكاشف ٢٣٠/٢ ، تذكرة الحفاظ ٥٥٧/٢-٥٥٩ ، تقريب التهذيب ٥٣٦/١ .

إلى التشبيه فهو معطل ناف ويستدل عليهم بنسبتهم إياهم إلى التشبيه أنهم معطلة نافية ، كذلك كان أهل العلم يقولون منهم : عبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح "(١)(٢).

وقد نقل الإمام اللالكائى رحمه الله عن إسحق بن راهويه وأبى حاتم(٣) نحو كلام أبى زرعة(٤).

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابونى رحمه الله :

"وعلامة أهل البدع شدة معاداتهم لحملة أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ، واحتقارهم لهم ، وتسميتهم إياهم حشوية(٥)، و"جهلة" و"ظاهرية" ومشبهة اعتقاداً منهم فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها بمعزل عن العلم ، وأن العلم مايلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ،

---

(١) وكيع بن الجراح :
هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى ، أبو سفيان الكوفى ، ثقة حافظ عابد . قال عنه الذهبى : وكان من بحور العلم وأئمة الحفظ . مات سنة ١٩٧هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٣٧/٩ ، تاريخ بغداد ٤٦٦/١٣-٤٨١ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٦/١ ، الكاشف ٢٣٧/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٤٠/٩-١٦٨ ، تهذيب التهذيب ١٢٣/١١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/٢ .

(٢) الحجة فى بيان المحجة ١٨٧/١ ، بيان تلبيس الجهمية ١٠٥/١-١٠٦ .

(٣) أبو حاتم :
هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلى ، أبو حاتم الرازى ، أحد الحفاظ ، قال موسى بن إسحاق الأنصارى : مارأيت أحفظ منه . مات سنة ٢٧٧هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢٠٤/٧ ، تاريخ بغداد ٧٣/٢-٧٧ ، تذكرة الحفاظ ٥٦٧/٢-٥٦٩ ، الكاشف ١٨/٣ ، تهذيب التهذيب ٣١/٩-٣٤ ، تقريب التهذيب ١٤٣/٢ .

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٢/٢-٥٣٣ .

(٥) الحشوية :
هو لفظ لايدل على شخص معين ولاعلى مقالة معينة ، ولذا أطلق عدة إطلاقات من ذلك : إطلاقه على العامة الذين هم حشو الناس . وعلى المجسمة الذين يصفون الله بالجسمية ، وعلى الذين لايرون البحث فى آيات الصفات . وفرق المبتدعة تطلقه على أهل السنة الذين يثبتون صفات الله تعالى .
انظر : منهاج السنة ٥٢٠/٢، ٥٢١ مع الهامش .

ووساوس صدورهم المظلمة ، وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير العاطلة ، وحججهم بل شبههم الداحضة الباطلة، بل {أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم}(١)، {ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء}"(٢)(٣).

وأهل السنة متفقون جميعاً على تنزيه الله عن مماثلة الخلق ومشابهتهم ، وأما المشبهة فهم الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه(٤).

وأما قولهم بأن التشبيه وقع فى الأمة نتيجة للتعلق بالآيات المتشابهة التى توهم التشبيه ـ يعنون بذلك آيات الصفات ـ والتى يجب أن تأول لتوافق دليل العقل والآيات المحكمة .

فهو قول نتج من قصور فهم المعتزلة للآيات المتشابهة فى كتاب الله ، والآيات المحكمة . أضف إلى ذلك تحريفهم النصوص وتعطيلهم لها بحجة أن ذلك تأويل سائغ .

ولكى ينكشف هذا الزعم ويزول مابه من لبس لابد من بيان المحكم والمتشابه فى كتاب الله تعالى . وهل آيات الصفات تعد من المتشابه؟ ثم نعرج بعد ذلك إلى بيان التأويل ومايجوز منه ومالايجوز . وهل نصوص الصفات تخضع للتأويل كما يزعم أهل الاعتزال؟

أما المحكم والمتشابه فى كتاب الله فعلى نوعين :

النوع الأول : هو الإحكام العام والتشابه العام :

فقد وصف الله القرآن كله بأنه محكم ، كما وصفه بأنه متشابه . وذلك فى قوله : {الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير}(٥) .

---

(١) سورة محمد : آية ٢٣

(٢) سورة الحج : آية ١٨

(٣) بيان تلبيس الجهمية ١٠٦/١ . عقيدة السلف أصحاب الحديث . اجتماع الجيوش الإسلامية ٣٠٥/٢ - ٣٠٦

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٠٨ .

(٥) سورة هود : آية ١

وقال تعالى : {الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى}(١).

فإحكامه هنا : إتقانه بتمييز الصدق من الكذب فى أخباره ، والرشد من الغى فى أوامره .

والمراد بالتشابه هنا : تماثل الكلام وتناسبه ، وهو ضد الاختلاف المذكور فى قوله تعالى : {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً}(٢).

فلاتجد فيه أمراً ونقيضه ، ولانهياً ونقيضه ، وإنما يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً .

وهذا التشابه العام لاينافى الإحكام العام ، بل هو مصدق له(٣).

النوع الثانى : الإحكام الخاص والتشابه الخاص .

فإن الله وصف بعض القرآن بأنه محكم ، كما وصف بعضه بأنه متشابه ، فقال تعالى :

{هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب}(٤).

فالمحكم هنا بخلاف المتشابه ، وهو الذى لاالتباس فيه ولااحتمال لوضوحه ، وأما المتشابه فهو المشتبه بغيره المحتمل الملتبس .

ويتعين معنى المتشابه هنا على موضع الاختلاف فى الوقوف على الآية .

فجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف على قوله تعالى : {ومايعلم تأويله إلا الله}.

فعلى هذا فإن الله قد استأثر بعلم المتشابه ولايعلمه أحد سواه .

---

(١) سورة الزمر : آية ٢٣

(٢) سورة النساء : آية ٨٢

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٥٩-٦١ ، الجامع لأحكام القرآن ٤/١٠ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٧

وجاء عن ابن عباس ومجاهد أن الراسخين فى العلم معطوف على اسم الله وأنهم داخلون فى علم المتشابه .

وعند التحقيق نجد أنه لامنافاة بين القولين .

فمراد الجمهور بالمتشابه الذى لايعلمه إلا الله ، هو الذى طوى الله غيبه عن جميع الخلق مثل وقت قيام الساعة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والدجال وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة فى أوائل السور . فهذا لايعلمه أحد من الخلق .

ومراد ابن عباس ومجاهد بالمتشابه المتشابه النسبى الإضافى الذى يشتبه على بعض الناس دون بعض ، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم مايزيل عنهم هذا الاشتباه(١).

وعلى هذا فمن أطلق على آيات الصفات وأحاديثها بأنها من المتشابه الذى لايعلمه إلا الله ، يستفصل فى مراده . فإن أراد حقائقها وكيفياتها فذلك قول صحيح لأنه لاأحد يعلم كنه صفات الله وكيفياتها إلا هو .

وإن أراد بذلك معانيها فإن الراسخين فى العلم يعرفون معانيها ويفرقون بين صفة وأخرى ، فالسمع ليس هو البصر ، والعلم ليس هو القدرة ، فإن السلف لايفوضون معانى صفات الله ، وإنما يفوضون كيفياتها .

وهكذا قال مالك رحمه الله لما سئل عن قوله تعالى : {الرحمن على العرش استوى}(٢). قال : "الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" .

فبين أن الاستواء معلوم ، أى معناه فى اللغة ، وكيفية ذلك مجهولة فلايعلمها إلا الله سبحانه(٣).

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/٤-١٨ ، مجموع الفتاوى ٥٤/٣،٥٥،٦٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٣-٢١٤ .

(٢) سورة طه : آية ٥

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٥٨/٣-٥٩،٦٥-٦٦ ، وانظر ١٨١/٢ الهامش .

وأما التأويل فقد صار بتعدد الاصطلاحات يستعمل فى ثلاثة معان :

أحدها : هو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين فى الفقه وأصوله . وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا الذى عناه من تكلم فى تأويل نصوص الصفات .

الثانى : التأويل بمعنى التفسير .وهو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير ونحوه ، ومرادهم بذلك بيان الكلام ، سواء وافق ظاهره أو خالفه ، ويحمد منه ماكان حقاً ويرد ماكان باطلاً .

الثالث : التأويل فى كتاب الله وسنة رسوله وهو الحقيقة التى يؤول اليها الكلام . فتأويل الخبر هو عين المخبر به . وتأويل الأمر هو عين المأمور به . قال تعالى : {هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق}(١). وقوله تعالى : {هذا تأويل رؤياى من قبل}(٢)إلى غير ذلك من الآيات .

وفى السنة ماجاء عن عائشة رضى الله عنها : "كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . اللهم اغفر لى" يتأول القرآن(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره لأنواع التأويل السابقة :

---

(١) سورة الأعراف : آية ٥٣

(٢) سورة يوسف : آية ١٠٠

(٣) انظر : المرجع السابق ٣/٥٥-٥٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٣ .
والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأذان (١٠) ، باب التسبيح والدعاء فى السجود (١٣٩) ، ١/١٩٩ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة النصر (١١٠) ، باب (٢) ، ٦/٩٣ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الصلاة (٤) ، باب مايقال فى الركوع والسجود (٤٢) برقم ٤٨٤ ، ١/٥٠ .

"وأما التأويل المذموم والباطل ، فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ، ويدعون أن فى ظاهره من المحذور ماهو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ، ويصرفونه إلى معانى هى نظير المعانى التى نفوها عنه ، فيكون مانفوه من جنس ماأثبتوه ، فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفى مثله ، وإن كان المنفى باطِلاً ممتنعاً كان الثابت مثله"(١).

فهذا فى الحقيقة ليس تأويلا وإنما هو تحريف للنصوص عن معانيها ، وصرفها عن مدلولاتها ، وإن سموا ذلك تأويلاً تزييناً للباطل وزخرفة له ، وقد ذم الله المزخرفين للباطل فى قوله : {وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجَن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً}(٢).

وقد صيروا لفظ التأويل مستعملاً فى غير معناه الأصلى(٣).

والذى دفعهم إلى ذلك ظنهم الفاسد إن ظاهر نصوص الصفات يفيد التشبيه وهو كفر وضلال ، فيجب صرفها عن هذا الظاهر .

وهذا نتج لقصور فهمهم وقلة علمهم كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فمعاذ الله أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يفيد الضلال والكفر ، بل كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الحق ولايدل إلا على حق ، ومحال أن يدل على باطل أو ضلال ، وليس المعانى الفاسدة ظاهره ولامقتضاه(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٧/٣ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١١٢
(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٣ .
(٤) انظر : المرجع السابق ص٢١٥ .

فالرسول صلى الله عليه وسلم مع كمال بيانه وفصاحة لسانه وحسن تعبيره عن المعانى ، وكمال معرفته وعلمه ، وكمال نصحه وإرادته لهداية الخلق ، يستحيل عليه أن يخاطبهم بشىء وهو لايريد منهم مايدل عليه خطابه ، بل يريد منهم أمراً بعيداً يدل عليه كدلالة الألغاز والأحاجى ، ويوقع الأمة بذلك فى أودية التأويلات وشعاب الاحتمالات . سبحانك هذا بهتان عظيم .

فيستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يريد من كلامه مايحمله عليه المحرفون للكلم عن مواضعه ، المتأولون له تأويلاً باطلاً . وأن يكون كلامه من جنس الألغاز والأحاجى (١).

وقد فتحوا بذلك باب شر عظيم على أمة الإسلام ، دخلت من خلاله أنواع من الضلالات والبدع ، وذلك لما سوغوا صرف القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعى . ولم يحددوا الضابط فيما يجوز تأويله مما لايجوز؟

فإن زعموا أن الضابط العقل ، ومادل على استحالته أولناه. ولكن ماهو العقل الذى يرجع إليه عند تأويل النصوص عن ظواهرها؟ هل هو عقل القرمطى (٢)الباطنى الذى يزعم به بطلان ظواهر الشرع ، أم هو عقل الفيلسوف الذى يزعم به بطلان حشر الأجساد ، أم هى عقولكم ياأهل الاعتزال التى تزعمون بها نفى صفات الله ورؤيته؟

---

(١) انظر : طريق الهجرتين ص٢٣٥ .

(٢) القرمطى :

نسبة إلى القرامطة . وهى حركة باطنية هدامة ، اعتمدت التنظيم السرى العسكرى. ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وحقيقتها الالحاد والشيوعية والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية . سميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذى نشرها فى سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ .

الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٩٥ .

فتسليط العقول على نصوص الوحى بالتأويلات التى لاضابط لها ، ولادليل عليها يلزم منه محذوران عظيمان :

الأول : عدم الإقرار بشىء من معانى الكتاب والسنة واستنفاذ الجهد فى بحوث طويلة يقررها العقل ، والعقول مختلفة متباينة ، وكل يدعى أن الحق ماذهب إليه عقله ، فيؤول الأمر إلى الحيرة .

الثانى : يستحيل على القلوب أن تجزم بشىء تعتقده مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن ظاهر ذلك غير مراد . فتعزل نصوص الوحى عن الدلالة والإرشاد ، وتصبح تابعة بعد أن كانت متبوعة وتهوى من مقام الاعتماد لتكون فى موضع الاعتقاد كما يفعل بها أهل التأويل الذين قدموا العقل على التنزيل،وهل ذلك إلا فتح لباب الزندقة (١)(٢) .

أما زعمهم بأن المراد بالآيات التى ذكرت فيها الصفات ، ذات الله تعالى.

يلزمهم من هذا الزعم أمران :

الأول : وجود ذات بغير صفات .

وهذا أمر يستنكره كل عاقل ، لأنه لاتوجد ذات مجردة عن الصفات، إلا وجوداً ذهنياً لاحقيقة له فى الخارج، فالذات المستلزمة للصفة لاتوجد إلا وهى متصفة بالصفة (٣) .

---

(١) الزندقة :
الزندقة تطلق ويراد بها عدة معان ، فقد كانت تطلق على أتباع " مانى " ثم أطلقت على الملاحدة الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا النبوات ، ثم على من أسر الكفر وأظهر الإسلام ، فتكون مرادفة للنفاق ، ثم اتسع هذا اللفظ فشمل أهل المجون والخلاعة وكل ماكان فيه خروج عن الدين بالقول والعمل .
وكل اتجاهات الزنادقة تلتقى فى هدف واحد وهو الوقوف فى وجه الإسلام .
النفاق والزندقة وأثرهما فى مواجهة الدعوة الإسلامية : ص : ٣٥ .
وانظر : لسان العرب : ١٤٧/١ ، مجموع الفتاوى : ٦٣/٥ ، فتح البارى : ٢٧٠/١٢-٢٧١ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ص ٥٠٩/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٩٨ .

الثانى : إن الله هو الذات المجردة عن الصفات .

وهـذا قـول باطل ، والحق خلافـه ، لأن الله تعـالى ذكـره هو الذات الموصـوفة بالصفـات اللازمة ، ولايتنـاول اسم الله ذاتا مجردة عـن الصفـات أصلا ، لأنه لايمكـن وجود ذلك أبدا ، ولذا قال الإمـام أحمد رحمه الله فى مناظرته للجهمية :

"لانقـول الله وعلمه ، واللـه وقدرته ، والله ونوره ، ولكـن نقول : الله بعلمه وقدرته ونوره : هو إله واحد"(١).

وعند التحقيق تجد أن هؤلاء مضطرين لإثبات صفات لله تعالى ، لأنهم أثبتـوا كونه حيا ، وكونه عـالما ، وكونه قادرا ، ولايجعلـون هـذا هو هذا ، ولاهذا هو هذا ، ولاهذه الأمور هى الذات ، فأثبتوا بذلك معانى زائدة على الذات المجردة(٢).

---

(١) اقتضـاء الصـراط المستقيم بتصـرف ٢/٧٩١-٧٩٢ ، وانظـر : المنتقـى مـن منهـاج الاعتدال ص٩٩ .

وقول الإمام أحمد فى كتابه الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٣-١٣٤ .

(٢) منهاج الاعتدال بتصرف ص٩٧ .